مجلة العلوم الإسلامية الدولية

INTERNATIONAL ISLAMIC SCIENCES JOURNAL



eISSN: 2600-7096

AN ACADEMIC QUARTERLY PEER-REVIEWED JOURNAL

مجلة علمية محكمة ، ربع سنوية

Vol : 8 Issue : 2 Year : 2024

المجلد: 8 العدد: 2 السنة: 2024

في هذا العدد:

eISSN 2600-7096

9 772600 709003

تصدرها
PUBLISHED BY

جامعة المدينة العالمية
Al-Madinah International University

كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية
FACULTY OF ISLAMIC SCIENCES
AL-MADINAH INTERNATIONAL UNIVERSITY

International Islamic Sciences Journal
Al-Madinah International University, Malaysia
Vol. 8, Issue. 2, June 2024
eISSN: 2600-7096
Submission date: 27\5\2024
Accepted date: 13\6\2024
Published date: 28\6\2024

THE IMPACT OF MULTIPLE QUR'ANIC READINGS ON THE MULTIPLICITY OF NODAL SEMANTICS: AN ANALYTICAL STUDY OF SURAT AL-AHQAF AS A MODEL

Fatma Saad Al-Naimi
Assistant Professor of Tafsir And Quranic Sciences, Department of The Qur'an And Sunnah, College of Sharia and Islamic Studies, Qatar University
Fatmasalnaimi@qu.edu.qa

ABSTRACT
The research dealt with the study of Nodal semantics of Quranic readings, especially in Surat Al-Ahqaf, where the readings showed their impact on the study of Nodal semantics and expanded the verbal meaning in which the Qirā'āt Qur'anic readings were received, and it is evident to know what this effect aims at from the Nodal interpretive meaning.The Qur'anic readings in Surat Al-Ahqaf have been characterized by a wonderful style and clear meanings, and multiple topics that God has made an example for believers when reading them, as well as describing the resurrection, warning of God's torment, and urging to worship Him Almighty until we obtain the gardens of bliss.The research aimed to extract what is in Surat Al-Ahqaf from Qirā'āt Qur'anic, to alert to the Nodal semantics that the readings carry and expand the interpretive meaning. This research followed the inductive approach, where he extrapolated the frequent Quranic readings in Surat Al-Ahqaf, and the directives of the scholars to it, and the analytical method, where he analyzed and interpreted these directives, and the deductive method, where he deduced the Nodal semantics from the surah and linked them to the Qur'anic readings in it.The most important results of the study are that the impact of the Qur'anic readings in Surat Al-Ahqaf appeared clearly in Nodal interpretive. There is no contradiction between the readings of interpretation in terms of meanings, but it is the link between the readings out of diversity and synergy, not as a matter of stampede and contradiction.
Keywords*:* impact, multiple, Qur'anic readings, semantics, Nodal, Surat Al-Ahqaf.

مجلة العلوم الإسلامية الدولية
جامعة المدينة العالمية، ماليزيا
المجلد 8، العدد 2، يونيه 2024
ردمد: 2600-7096
تاريخ التقديم: 2024\5\27
تاريخ القبول: 2024\6\13
تاريخ النشر: 2024\6\28

أثر تعدّد القراءات القرآنية في تعدّد الدلالات العقدية: دراسة تحليلية لسورة الأحقاف أنموذجًا

فاطمة سعد النعيمي

أستاذ مساعد في التفسير وعلوم القرآن، قسم القرآن والسنة

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر

الملخص

تناول البحث دراسة الدلالات العقدية للقراءات القرآنية خاصة في سورة الأحقاف، حيث بينت القراءات أثرها في دراسة القضايا العقدية؛ واتسع المعنى اللفظي الذي وردت فيه القراءات المتواترة، ويتجلى معرفة ما يرمي إليه هذا الأثر من المعنى التفسيري العقدي. لقد امتازت القراءات القرآنية في سورة الأحقاف بأسلوب رائع واضح المعاني، ومتعدد المواضيع التي جعلها الله عبرة للمؤمنين عند قراءتها، فهي تحتوي العبرة والعظة من أصول العقيدة الثلاثة، وكذلك وصف البعث والجزاء يوم القيامة والتحذير من عذاب الله، والحث على عبادته سبحانه حتى ننال جنات النعيم. وهدف البحث إلى استخراج ما في سورة الأحقاف من قراءات قرآنية متواترة؛ للتنبيه إلى القضايا العقدية التي تحمله القراءات ويتسع بها المعنى التفسيري. اتبع هذا البحث المنهج الاستقرائي؛ حيث أستقرئ القراءات القرآنية المتواترة في سورة الأحقاف، وتوجيهات أهل العلم لها، والمنهج التحليلي؛ حيث قام بتحليل هذه التوجيهات وأفسرها، والمنهج الاستنباطي؛ حيث أستنبط الدلالات العقدية من السورة وربطها بالقراءات القرآنية فيها. وتوصل إلى أن أثر القراءات القرآنية في سورة الأحقاف ظهر واضحًا في القضايا العقدية، وقد تكون في إثبات أصول العقيدة الإسلامية الثلاثة: وهي التوحيد، والرسالة والوحي، والبعث والجزاء. ولا يوجد تناقض بين القراءات المتواترة على التفسير من حيث المعاني، وإنما هو الارتباط بين القراءات المتواترة من باب التنوع والتعاضد، لا من باب التدافع والتضاد.

الكلمات المفتاحية: أثر، تعدد، القراءات القرآنية، الدلالات، العقدية، سورة الأحقاف.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه؛ وبعد:

أجمعت الأمة على تعدد القراءات القرآنية، واختلف القراء في قراءة القرآن على قراءات متعددة، أثر ذلك على المعنى التفسيري. فقد ثبت بما لا يدع للشك أن القراءات القرآنية قد تعددت وتنوعت، ومن هنا بينت القراءات القرآنية المتواترة أثرها في الدلالات العقدية، وفائدة هذه القراءات المتواترة في كشف بعض مجملات سورة الأحقاف، والمساعدة في توضيح مراد الله تعالى.

تمهيد:

تعد سورة الأحقاف من السور المكية، حيث تهتم في إثبات أصول العقيدة الإسلامية الثلاثة: وهي التوحيد، والرسالة والوحي، والبعث والجزاء. وهذا مقصود القرآن كله[1].

وفي ذلك تهديد أهل الكفر بإهلاكهم، لشركهم وتكذيبهم كما أهلك الله سبحانه قوم هود. فقد دلت تسميتها بالأحقاف، بما دلت عليه قوم هود عليه السلام، من التوحيد، وإنذارهم بالعذاب دنيا وأخرى، ومن إهلاكهم، وعدم إغناء ما عبدوه عنهم، ودفنهم تحت أحقافهم، بما تحقق من إعراضهم وخلافهم[2].

بدأت السورة بالحديث عن تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم، عقبها مباشرة الأدلة من خلق الكون على التوحيد والحشر. وختمت بالتأكيد على قدرة الله على البعث، وتوجيه الرسول ﷺ إلى الصبر، وعدم الاستعجال لهم بالعذاب، فإنه آتيهم لا محالة ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾[3].

مشكلة البحث:

هل يوجد أثر لتعدّد القراءات القرآنية في تعدّد الدلالات العقدية لسورة الأحقاف؟ وما هذه الدلالات؟ وما أثرها في تفسير سورة الأحقاف؟

ومن هذا المنطلق يأتي موضوع الدلالات العقدية للقراءات القرآنية في سورة الأحقاف، وعرض هذا الموضوع الأسئلة الآتية:

---

[1] قال الفخر الرازي: " ومن تأمل البيان علم أن المقصود من كل القرآن تقرير التوحيد، النبوة، والمعاد. وأما القصص فالمراد من ذكرها ما يجري مجرى ضرب الأمثال في تقرير هذه الأصول. الرازي، محمد بن أبي بكر، **مفاتيح الغيب** ج28، ص30.

[2] البقاعي، برهان الدين، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور** ج2، ص280-281.

[3] قطب، سيد، **في ظلال القرآن** ج6، ص 3254. وينظر: الزحيلي، وهبة، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج** ج26، ص6-7.

1. ما أثر الدلالات العقدية للقراءات القرآنية في سورة الأحقاف؟
2. ما مدى الارتباط بين القضايا العقدية والقراءات القرآنية؟

أهداف البحث:

1. بيان أثر الدلالات العقدية للقراءات القرآنية في سورة الأحقاف.
2. تحليل مدى الارتباط بين القضايا العقدية والقراءات القرآنية.
3. استنباط الدلالات العقدية من خلال تفسير الآيات القرآنية المتعلقة بسورة الأحقاف.

أهمية البحث:

1. إبراز أثر تعدد الدلالات العقدية في تعدد القراءات القرآنية لسورة الأحقاف.
2. استخراج المعاني والأحكام المترتبة على ذلك من خلال دراسة سورة الأحقاف.
3. إلقاء الضوء على ما يميز هذه القراءات من توجيه يثري المعنى التفسيري، ويفضي المعنى العقدي وضوحًا.

منهج البحث:

المنهج الذي اتبعته في بحثي هو المنهج الاستقرائي؛ حيث أستقرئ القراءات القرآنية المتواترة في سورة الأحقاف، وتوجيهات أهل العلم لها، والمنهج التحليلي؛ حيث أقوم بتحليل هذه التوجيهات وأفسرها، والمنهج الاستنباطي؛ حيث أستنبط الدلالات العقدية من السورة وربطها بالقراءات القرآنية فيها.

الدراسات السابقة:

تنوعت الدراسات حول موضوع القراءات القرآنية؛ فمنها التي غطت البعد المتعلق بتعدد المعنى التفسيري، أو تلك التي بحثت عن القراءات المتواترة والقراءات الشاذة في القرآن الكريم.

1. القراءات القرآنية وأثرها في التفسير، إعداد: د. رياض محمود قاسم، د. عماد شعبان مُحَّد الشريف. يعنى هذا البحث بالقراءات القرآنية وأثرها في التفسير من خلال الحديث عن القراءات القرآنية: تعريفها، ونشأة علم القراءات، وأسباب اختلاف القراء فيها، وأركان القراءات المقبولة، وأثر القراءات القرآنية في التفسير، وقد تضمن البحث دراسة تطبيقية على نماذج متنوعة من أوجه القراءات العشر المتواترة المختلفة حسب المعايير المعتبرة في الحكم على القراءات وبيان أثرها في التفسير.

2. أثر القراءات القرآنية في توجيه المعنى التفسيري، د. أحمد قاسم عبد الرحمن، د. صفاء علي حسين.

يعنى هذا البحث بأثر القراءات القرآنية في توجيه المعنى التفسيري من خلال الحديث عن ارتباط معنى القراءة باللغة العربية الذي بدوره تبنى عليه الأحكام الشرعية، فتناول البحث تعريف القراءة وأقسامها ومراتب القراءة الصحيحة ومقاييس القراءة الصحيحة، وقد تضمن البحث نماذج من القراءات القرآنية وأثرها في توجيه المعنى التفسيري.

3. أثر القراءات القرآنية في تعدد المعنى سورة يس أنموذجًا، د. فاطمة سعد النعيمي. يعني هذا البحث موضوع " أثر القراءات القرآنية في تعدد المعنى سورة يس أنموذجا " حيث تعددت القراءات واتسع المعنى الذي وردت فيه القراءات الصحيحة، كما أن القراءات الشاذة لها أثر يضيف معنى جديدًا، ولا يتعارض مع القراءة المتواترة، ويتجلى ذلك بتحديد المواضع الذي في سورة يس، ومعرفة ما يرمي إليه هذا الأثر من معنى التفسيري.

ويزيد هذا البحث على الدراسات السابقة: تخصيصه للدلالات العقدية وتعددها، في حين أن معظم الدراسات السابقة في أثر القراءات القرآنية تحدثت عن مقدمات في القراءات ونماذج من القرآن في أثرها على المعنى التفسيري.

المبحث الأول: أثر القراءات في أن القرآن حق من عند الله يدعو إلى التوحيد ونبذ الشرك

افتتحت السورة بالحديث عن القرآن: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف:2]، والانتقال من الأحرف العربية المقطعة في أول السورة إلى الكتاب المصوغ من جنس هذه الأحرف، على غير مثال من كلام البشر شهادة بأن تنزيل هذا القرآن من الله ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الأحقاف:2]. العزيز: المنيع الذي لا ينال ولا يغالب، والحكيم: في أقواله وأفعاله[4].

وإيثار وصفي ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الأحقاف:2] بالذكر دون غيرهما من الأسماء الحسنى، لإشعار وصف ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ بأن ما نزل منه مناسب لعزته، فهو كتاب عزيز، أي هو غالب لمعانديه؛ وذلك لأنه أعجزهم عن معارضته؛ ولإشعار وصف ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ بأن ما نزل من عنده مناسب لحكمته، فهو مشتمل على دلائل اليقين والحقيقة[5].

المطلب الأول: القراءات القرآنية

أولاً: قال تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الأحقاف:12].

قرأ المدنيان، وابن عامر، ويعقوب (لِتُنْذِرَ) بالتاء. وقرأ الباقون(لِّيُنذِرَ) بالياء[6].

بينت قراءة (لِتُنْذِرَ) بالتاء على معنى المخاطبة أن المقصود بذلك هو النبي ﷺ خاصة، والمعنى: لتنذر أنت يا مُحَمَّد[7]، وعلى هذا يكون وصف النبي ﷺ بأنه منذر، ووصف الكتاب بأنه بشرى للمحسنين[8]، أي: هذا الكتاب مصدق، وبشرى.

وأما قراءة (لِّيُنذِرَ) بالياء على معنى الخبر عنه، فإنها تفيد أن الإنذار أسند إما إلى الكتاب، وعلى هذا يكون " (لِتُنْذِرَ) علة للكتاب باعتبار صفته وحاله"[9]، وإما إلى الرسول ﷺ، والمعنى: ليخوف مُحَمَّد ﷺ بالقرآن الذين ظلموا[10]، أو إلى الله تعالى، والمعنى: لينذر الله تعالى الذين ظلموا، ويحتمل أن يكون الإنذار أسند إلى القرآن،

---

[4]القرطبي، مُحَمَّد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن** ج1، ص288/ ج2، ص131.

[5] ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر، تفسير **التحرير والتنوير** ج25، ص225-226.

[6]ينظر: ابن الجزري، مُحَمَّد بن مُحَمَّد، **النشر في القراءات العشر** ج2، ص372. الجزري، مُحَمَّد بن مُحَمَّد، **تحبير التيسير** ص206.

[7] ينظر: السمرقندي، نصر بن مُحَمَّد، **بحر العلوم** ج3، ص232.

[8]ينظر: ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر، **التحرير والتنوير** ج 26، ص26.

[9]ينظر: **المصدر نفسه**.

[10]ينظر: السمرقندي، نصر بن مُحَمَّد، **بحر العلوم** ج 3، ص232.

وإلى الله تعالى، وإلى الرسول ﷺ في آن واحد " فيكون المعنى: لينذر القرآن، ولينذرَ الله تعالى، ولينذر مُحَّد ﷺ"[11].

يتبين أن الله تعالى أنزل القرآن لينذر به الذين ظلموا، ويبشر به المحسنين، وأمر نبينا مُحَّد ﷺ أن ينذر ويخوف به الذين ظلموا أنفسهم وأشركوا بالله تعالى؛ لأن هذا القرآن مشتمل على النذارة للكافرين، والبشارة للمؤمنين.

ثانيًا: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٣﴾ [الأحقاف:13].

قرأ يعقوب (خَوْفَ) بالفتح بدون تنوين. وقرأ الباقون (خَوْفٌ) بالضم مع التنوين[12].

قراءة (لا خوفَ) بالفتح دون تنوين تفيد جنس الخوف مطلقًا عن المؤمنين بأي حال من الأحوال، وبأي وجه من الوجوه بأن يقع بهم أي مكروه أو عقاب من الله تعالى على غرار أهل الضلال في الآخرة، " لأن (لا) إذا دخلت على النكرة دلت على نفي الجنس، وأنها إذا بُني الاسم بعدها على الفتح كان نفي الجنس نصًا، وإذا يبنَ الاسم على الفتح كان نفي الجنس ظاهرًا مع احتمال أن يراد نفي واحد من ذلك الجنس إذا كان المقام صالحًا لهذا الاحتمال"[13]. وفي هذه القراءة (لا) نافية للجنس فهي تعمل عمل (إن) من نصب المبتدأ ورفع الخبر، وهي تفيد نفي الخبر عن الجنس الواقع بعدها نصًا، أي: نفيًا عامًا على سبيل الاستغراق، لا على سبيل الاحتمال[14].

أما قراءة (لاَ خَوْفٌ) بالضم مع التنوين فقد تفيد نفي الخوف الواحد، أو نفي المجموع عنهم احتمالًا لا نصًا؛ لأن (لا) في هذه القراءة لا النافية العاملة عمل ليس، فهي تعمل عمل الأفعال الناسخة، واسمها (خوفٌ) نكرة مرفوع، وهذا شرط لعملها عمل ليس، وهي تفيد احتمال نفي الواحد أو نفي الجنس[15].

أما ابن عاشور فيعتبر أن القراءتين برفع اسم (لا) أو بنائه على الفتح متساويتان في الدلالة في هذا الموضع؛ لأن النفي وقع في أجناس المعاني لا في أجناس الذوات[16].

ويتبين أن الله تعالى نفى مطلق الخوف عن المؤمنين، فلا خوفٌ عليهم في أي حال من الأحوال وبأي وجه من الوجوه وفي أي وقت من الأوقات.

---

[11] ابن خالويه، الحسين بن أحمد، **إعراب القراءات السبع وعللها** ج 2، ص316.

[12] ينظر: الدمياطي، أحمد بن مُحَّد، **إتحاف فضلاء البشر** ص497. حبش، مُحَّد، **الشامل في القراءات المتواترة** ص252.

[13] ينظر: ابن عاشور، مُحَّد الطاهر، **التحرير والتنوير** ج11، ص216.

[14] ينظر: يعقوب، إميل، **موسوعة الحروف في اللغة العربية** ص384.

[15] ينظر: عبد الحميد، مُحَّد محي الدين، **شرح ابن عقيل** ج2، ص5.

[16] ينظر: ابن عاشور، مُحَّد الطاهر، **التحرير والتنوير** ج11، ص216.

المطلب الثاني: الدلالات العقدية

نرى في هذه السورة ذكر كتاب الله المفتوح في هذا الكون ودلالته على الحق، مع أن القرآن المنزل، وخلق السماوات والأرض يدل كل منهما على وحدانية الله وتفرده بالخلق والإيجاد، وتفرده بالألوهية، فله الطاعة التامة وحده، وله العبادة الخالصة وحده؛ مع هذا الخلق كله الذي يدل على الحكمة والتقرير والتدبير، فإن الذين كفروا لا هون عما يراد بهم[17].

فالكتاب المنزل المتلو يقرر أن الله واحد لا يتعدد، وأنه رب كل شيء[18]، وهذا تلقين من الله لرسوله ﷺ للاستدلال على نفي صفة الإلهية عن أصنامهم ومعبوداتهم كلها، بمسالك الأدلة بأسرها. فالفطرة لا تملك إلا أن تقر بالربوبية والألوهية والسيادة لله سبحانه[19].

وما تضمنته من أن من لم يخلق شيئًا ولم يكن له شرك في السماوات لا يصح أن يكون معبودًا بحال، والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة[20].

وكل الكتب المنزلة قبل القرآن تشهد بوحدانية الخالق المبدع المدبر، وتدعو إلى التحرر من العبودية لغير الله تبارك وتعالى[21].

ثم يأخذ بهم إلى نظرة موضوعية في حقيقة هذه الآلهة المدعاة، منددًا بضلالهم في اتخاذهما، وهي لا تستجيب لهم، ولا تشعر بدعائهم في الدنيا، ثم هي تخاصمهم يوم القيامة، وتنكر دعواهم في عبادتها[22].

هذا حالهم في الدنيا، وإذا حشر الناس للجزاء والحساب يوم القيامة كان المعبودين أعداءً لعابديهم؛ فالملائكة أعداء للكفار، والجن وشياطينهم وشياطين الإنس يتبرؤون غدًا من عبدتهم، ويلعن بعضهم بعضًا. ويجوز أن تكون الأصنام أعداء للكفار الذين عبدوها، على تقدير خلق الحياة لها[23].

ويمضي السياق ويقرر قضية الوحي كما قرر قضية التوحيد: ليس غريبًا أن ينكر عباد غير الله الحق الذي أوحاه الله إلى رسوله؛ لأنهم إذا أقروا به وأنه حق من عند الله لزمهم اتباعه وطاعة الله فيما أنزل؛ لهذا نرى كثيرًا من الكفار يقرون بأن الله هو الخالق، وهو رب السماوات والأرض ومن فيها، ثم ينكرون الوحي ويكذبون الرسل؛

---

[17] ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم** ج4، ص153.
[18] قطب، سيد، **في ظلال القرآن** ج6، ص 3254.
[19] **المصدر نفسه** ج6، ص 3255.
[20] الشنقيطي، محمد الأمين، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** ج7، ص213.
[21] ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم** ج4، ص154. ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير** ج26، ص11.
[22] قطب، سيد، **في ظلال القرآن** ج6، ص 3255.
[23] القرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن** ج16، ص183. ابن عطية، عبد الحق بن غالب، **المحرر الوجيز** ج5، ص92-93.

ليتركوا طاعة الله فيما أنزل، ويستمروا في طاعة ساداتهم وكبرائهم في معصية الله.

ونحن نرى هنا أن الله تعالى لما قرر الأصل الدال على إثبات الإله، وعلى عدله بخلق السماوات والأرض بالحق وإلى أجل مسمى، هو يوم القيامة، بنى على ذلك التفاريع الثلاثة:

الفرع الأول: الرد على عبدة الأصنام، وعبدة غير الله على. والفرع الثاني: إثبات نبوة مُحَّد ﷺ على الإنس والجن، وتفنيد ادعاءاتهم في إنكار الوحي وتكذيب الرسول ﷺ. والفرع الثالث والأخير: الذي يتم ويتحقق به العمل الجاد بأمر الله والتحرر عن العبودية لغيره هو: إثبات البعث والحساب والجزاء، وإقامة الدليل على قدرة الله على إعادة الخلق. وتقرير هذه الأصول الثلاثة: التوحدي والنبوة والمعاد، وهو المقصود من كل القرآن[24].

يبدأ الحديث عن قضية الوحي بترذيل مقولتهم عنه، واستنكار استقبالهم له، ويظهر عناد المشركين وتعنتهم إذا تتلى عليهم آيات القرآن، فيها الدلائل واضحات على أنها الحق من عند الله سبحانه، قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين[25].

ومن ثم أتم الله الحجة آمرًا رسوله أن يقول: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾ [الأحقاف:9]، أي وما أعلم ما يفعل الله بي وبكم فيما يستقبل من الزمان، أي الدنيا. عن الحسن البصري قال: " أما في الآخرة فمعاذ الله، قد علم أنه في الجنة حين أخذ ميثاقه في الرسل، ولكن قال: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا؛ أخرج كما أخرجت الأنبياء قبلي، أو أُقتل كما قُتلت الأنبياء من قبلي، ولا أدري ما يفعل بي ولا بكم؛ أمتي المكذّبة، أم أمتي المصدّقة، أم أمتي المرمية بالحجارة من السماء قذفًا، أم مخسوف بها خسفًا"[26].

وهذا القول هو الذي عوّل عليه ابن جرير الطبري، وأنه لا يجوز غيره. ولا شك أن هذا هو اللائق به ﷺ، فإنه بالنسبة للآخرة جازم أنه يصير إلى الجنة، هو ومن اتبعه. وأما في الدنيا فلم يدر ما كان يؤول إليه أمره وأمر مشركي قريش، أيؤمنون أم يكفرون فيعذبون فيستأصلون بكفرهم[27]. ولذلك كان قوله: ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الأحقاف:9] استئنافًا بيانيًا، وإتمامًا لما في قوله: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾ [الأحقاف:9]، بأن قصارى ما يدريه هو اتباع ما يعلمه الله به[28].

---

[24] الرازي، مُحَّد بن أبي بكر، **مفاتيح الغيب** ج29،28/ ص4-30.

[25] السمرقندي، نصر بن مُحَّد، **تفسير بحر العلوم** ج3، ص271.

[26] الطبري، مُحَّد بن جرير، **جامع البيان في تفسير القرآن** ج26، ص7-8.

[27] **المصدر نفسه** ج26، ص8. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم** ج4، ص155. القرطبي، مُحَّد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن** ج16، ص186.

[28] ابن عاشور، مُحَّد الطاهر، **تفسير التحرير والتنوير** ج26، ص17.

﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [الأحقاف:9]، أي مبين النذارة، لا مفتر، فأمري ظاهر لكل ذي لب وعقل[29]. وقد أقام الله عليهم الحجة، وأيد رسوله بالمعجزات الدالة على صدقه.

ويمضي السياق في استعراض أقوال المشركين في اعتذارهم عن تكذيب الحق. هذه الأقوال التي يظهر منها إعجابهم بأنفسهم، وتعاليهم واستكبارهم[30].

ثم أتبع إبطال مزاعمهم الفاسدة في قضية الوحي والرسالة بالإشارة إلى كتاب موسى وهو التوراة، باعتبار أن كتاب عيسى عليهما السلام تمكلة وامتداد له، وأصل العقيدة والتشريع في التوراة، ومن ثم سمى كتاب موسى إمامًا، ووصفه بالرحمة، وفي كل كتاب أنزل من السماء رحمة لأهل الأرض، وتحرير حقيقي لهم عن العبودية لغير الخالق المالك، ففي قوله: ﴿وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ [الأحقاف:12] إبطال لإحالتهم أن يوحي الله إلى محمد ﷺ بأن الوحي سنة إلهية سابقة معلومة، أشهره كتاب موسى، أي التوراة، وقد بلغهم نبوءته من اليهود[31].

وينتهي المبحث الأول من السورة بعد أن قرر محور السورة بأركانه الثلاثة. فقرر الوحي وإنزال القرآن من عند الله، ثم قرر أن خلق الكون وإنزال الوحي له هدف هو الحق؛ أي بإحقاق الحق الذي هو الحساب والجزاء يوم البعث والنشور.

وأنكر ما كان عليه القوم من الشرك، وندد بضلال من يدعو من دون الله من لا يستجيب له؛ فقرر التوحيد وندد بالشرك والعبودية لغير الخالق.

---

[29] ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم** ج4، ص155.

[30] **المصدر نفسه** ج4، ص156. ابن عطية، عبد الحق بن غالب، **المحرر الوجيز** ج5، ص95. السمر قندي، نصر بن محمد، **تفسير بحر العلوم** ج3، ص272-273.

[31] ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير** ج26، ص24.

المبحث الثاني: أثر القراءات القرآنية في الفطرة في استقامتها وفي انحرافها

وجه الاتصال بما سبق أن هذا انتقال إلى قول آخر من أقوال المشركين، وهو كلامهم في إنكار البعث وجدالهم فيه، فإن ذلك من أصول كفرهم بمحل القصد.

وصيغ هذا في أسلوب قصة مناجاة ولد مؤمن شب على الإيمان بربه وخالقه بعد معرفة حقوق والديه، وجدال بين والدين مؤمنين وولد كافر؛ لأن لذلك الأسلوب وقعًا في أنفس السامعين[32].

فيبين هذا المبحث أن شكر الله وعبادته وحده، والتحرر عن العبودية لسواه هو مسلك الفطرة السليمة، والجحود وإنكار الحق هو انحراف عن الفطرة السليمة.

المطلب الأول: القراءات القرآنية

أولًا: قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف:15]

قرأ الكوفيون(إِحْسَانًا) بزيادة همزة مكسورة قبل الحاء، وإسكان الحاء، وألف بعد السين. وقرأ الباقون(حُسْناً) بضم الحاء، وإسكان السين من غير همزة ولا ألف[33].

كذلك قرأ الكوفيون، وابن ذكوان، ويعقوب (كُرْهًا) بضم الكاف. وقرأ الباقون (كَرْهاً) بفتح الكاف[34].

وقرأ يعقوب (وفَصْلُهُ) بفتح الفاء، وإسكان الصاد من غير ألف. وقرأ الباقون (وَفِصَالُهُ) بكسر الفاء، وفتح الصاد، وألف بعدها[35].

ذهب البعض إلى أن العلاقة بين القراءتين (حسناً، وإحساناً) لغوية فقط ومعناهما واحد، قال الفراء: «قرأها أهل الكوفة بالألف، وكذلك هي في مصاحفهم، وأهل المدينة، وأهل البصرة يقرءون: (حسناً) وكذلك هي في مصاحفهم، ومعناهما واحد والله أعلم»[36]، على معنى: ووصينا الإنسان، وأمرناه بأن يحسن إلى والديه إحساناً أو حسناً.

إلا أن مكي بن أبي طالب قال: "قوله ﴿بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ فقرأه الكوفيون (إحساناً) على وزن (إفعالاً)

---

[32] ابن عاشور، محمد الطاهر، **تفسير التحرير والتنوير** ج26، ص28.

[33] ينظر: ابن الجزري، محمد بن محمد، **النشر في القراءات العشر** ج 2، ص373.

[34] ينظر: الجزري، محمد بن محمد، **تحبير التيسير** ص 206.

[35] ينظر: ابن الجزري، محمد بن محمد، **النشر في القراءات العشر** ج2، ص373. الجزري، محمد بن محمد، **تحبير التيسير** ص206.

[36] الفراء، زكريا، **معاني القرآن** ج3، ص52.

مثل (إكرام) وقرأه الباقون (حُسْناً) على وزن (فُعْلٍ) مثل (قُفْلٍ) وحجة من قرأ على وزن (إفعالٍ) أنه جعله مصدراً لـ (أحسن) على تقدير: أن أحسن إليهما إحساناً. وحجة من قرأ على وزن (فُعْلٍ) أنه على تقدير حذف مضاف وحذف موصوف، تقديره: ووصينا الإنسان بوالديه أمراً ذا حُسنٍ، أي: ليأت الحسن في أمرهما، فحذف المنعوت، وقام النعت مقامه وهو (ذا)، ثم حذف المضاف وقام المضاف إليه مقامه، وهو حسن"[37].

فما ذكره مكي بن أبي طالب لا يعني أن القراءتين بمعنى واحد، حيث إن قراءة (إحساناً) فيها زيادة الألف، وزيادة المبنى تدل على زيادة في المعنى، وما ورد في قواميس اللغة يثبت ذلك، وبناءً على ما ذكرته فإن قراءة (إحساناً) تضيف معنى زائداً على قراءة (حُسْناً)) ، فالحسن هو: الوقوف عند حد الواجب في التعامل مع الوالدين، فتكون هذه القراءة قد أشارت إلى أن الإنسان ملزم بأن يحسن إلى والديه ويعطيهما حقهما وواجبهما عليه، دون أن تشير إلى الإكرام الزائد عليهما، ويحتمل أن تكون هذه القراءة في حق الأبوين الكافرين، وأما قراءة (إحساناً) ففيها مبالغة الإحسان والإكرام إليهما بما يزيد على حد الواجب فلا يقف عند حد ما أوجبه الله عليه، بل لا بد أن يزيد في الإنعام والإكرام عليهما، ويحتمل أن تكون هذه القراءة في حق الأبوين المؤمنين.

وذهب علماء التفسير إلى أن القراءتين (كُرْهاً) بالضم (وكَرْهاً) بالفتح بمعنى واحد، وهما لغتان مثل: الضُّعف والضَّعف، والشَّهد والشُّهْدِ[38].

قال الشوكاني: "قرأ الجمهور (كُرْهاً) في الموضعين بضم الكاف، وقرأ أبو عمرو، وأهل الحجاز بفتحهما. قال الكسائي: وهما لغتان بمعنى واحد، قال أبو حاتم: (الكَرْه) بالفتح لا يُحسَن لأنه الغضب والغلبة"[39]. ومن خلال ما قاله أبو حاتم لا ينبغي أن يرد قراءة منهما أو يفاضل بينهما لأن القراءتين متواترتان، ولكل قراءة أثرها في المعنى، وعلى ذلك فإن قراءة (كُرْهاً) بالضَّم بينت معنى المشقة أي: حملته أمه على مشقة وألم، ووضعته على مشقة وألم. وأما قراءة (كَرْهاً) بالفتح، فقد بينت معنى الغلبة والقهر، أي: حملته أمه على مشقة وهي كارهة لأحوال ذلك الحمل، ووضعته على مشقة وألم وهي كارهة لوضعه[40].

وذهب بعض العلماء إلى أن قراءتي (فَصْلُه) و(فِصَالُه) لغتان بمعنى واحد، على أنهما مصدران كالفطم

---

[37] أبي طالب، مكي، **الكشف عن وجوه القراءات السبع** ج2، ص272. ينظر: محيسن، محمد سالم، **القراءات وأثرها في علوم العربية** ج1، ص 668.

[38] ينظر: القرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن** ج8، ص486. أبي طالب، مكي، **الكشف عن وجوه القراءات السبع** ج2، ص272.

[39] الشوكاني، محمد بن علي، **فتح القدير** ج5، ص25. ينظر: الألوسي، محمود، **روح المعاني** ج26، ص17.

[40] ينظر: ابن زنجلة، أبي زرعة،، **حجة القراءات** ص664. القرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن** ج8، ص486. ابن عاشور، **التحرير والتنوير** ج26، ص28.

والفطام[41].

ورد الطبري قراءة (فَصْلُه) بدون ألف، واعتبرها شاذة فقال: "واختلف القراء في قراءة قوله: (وَفِصَالُه) فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار، غير الحسن، (وَحَمْلُهُ وَفِصَالُه) بمعنى فاصلته أمُّه فصالاً ومفاصلةً، وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرؤه (وَحَمْلُهُ وَفَصْلُه) بفتح الفاء بغير ألف بمعنى: وفصل أمه إياه، والصواب من القول في ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار لإجماع الحجة من القراء عليه، وشذوذ ما خالفه"[42].

وليس من الصحيح أن يطعن الإمام الطبري في قراءة متواترة أو يردها، لأن القراءات المتواترة جميعها وحي من الله تعالى، ولا تفاضل بينها، حيث إن القراءتين بينت معنى، فقراءة (فَصْلُه) بينت معنى الفطم إذا فطمته أمه مرة واحدة من طرفها أي أن الفعل يقع من طرف الأم.

وأما قراءة (فِصَالُه) فقد بينت معنى الفطام إذا فاصلته أمه مع وقوع الفعل على التراخي من طرفين لأن الفعل على صيغة (المفاعلة) التي تفيد المشاركة في الفعل، وعلى هذا يكون المعنى أنه فاصل أمه، وفاصلته أمه، وعلى هذا يتضح أن مدة الحمل مع نهاية الرضاع ثلاثون شهرًا فإذا بلغ هذه المدة تفصله أمه أو انه يفصل نفسه.

قال ابن عطية: " قرأ جمهور الناس: (وَفِصَالُه) وذلك أنها مفاعلة من اثنين، كأنه فاصل أمه وفاصلته، وقرئ (فَصْلُه) كأن الأم هي التي فصلته"[43].

يتضح أن الله تعالى وصى الإنسان بأن يحسن إلى والدية سواء كانا كافرين، فعليه أن يؤدي الواجب الذي فرضه الله عليه تجاههما أو كانا مؤمنين فعليه أن يبالغ لهما في الإكرام والإنعام أكثر مما فرضه الله عليه لأنهما يستحقان أكثر من ذلك فأمه حملته على مشقة وألم ووضعته على مشقة وألم وهي كارهة لأحوال الحمل، لشدة ما تعانيه من الآم، ولكنها احتملت ذلك على غلبة وقهر، وبينت الآية أن مدة الحمل مع الرضاع ثلاثون شهرًا وعليه فإنه إذا بلغ الطفل نهاية الرضاع فعلى الأم أن تفصله، فالطفل يكون مهيأً للفصل واستجابته لذلك تكون كبيرة وهذا ما يتضح من قراءة (فِصَالُه) التي تدل على أن الفصال يقع من الطفل ومن الأم أيضًا وهي نهاية ما يحتاج إليه الطفل من الرضاع.

ثانيًا: قوله تعالى: ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ١٦** ﴾ [الأحقاف:16]

---

41 ينظر: القرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن** ج7، ص385.

42 الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان** ج26، ص11.

43 ابن عطية، عبد الحق بن غالب، **المحرر الوجيز** ج5، ص97.

قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص (نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ)، (وَنَتَجَاوَزُ) بنون مفتوحة في الفعلين ونصب (أحسن). وقرأ الباقون (يُتَقَبلُ عنهم أحسنُ)، (ويُتَجَاوَزُ) بالياء المضمومة في الفعلين، وبرفع (أحسنُ)[44].

بينت قراءة (نَتَقَبَّلُ)، (وَنَتَجَاوَزُ) بنون العظمة إسناد الفعل من الله تعالى إلى نفسه، فهو يخبر عن نفسه، والمعنى: نحن نتقبل عنهم، ونتجاوز عن سيئاتهم، وذلك على نسق قوله تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ) ليأتلف الكلام على نظام واحد[45].

قال مكي بن أبي طالب: " حجة من قرأ بالنون أنه حمله على الإخبار من الله جل ذكره عن نفسه بالتقبل والمجازاة، وحسن ذلك، لأن قبله إخبارًا عن الله جل ذكره عن نفسه في قوله: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ)، ونصب (أحسَنَ) بوقوع يتقبل عليه"[46].

أما القراءاة الثانية (يُتَقبَل) بياء الغيبة فإنه بنى الفعل للمفعول وأقام (أحسنُ) مقام الفاعل فرفعه، ولم يسم الفاعل لأنه معلوم بديهة أن المتقبل هو الله تعالى، فبناؤه للمفعول كبنائه للفاعل في العلم بالفاعل[47].

فالقراءتين تبين أن الفاعل هو الله تعالى وهو الذي يتقبل من عباده أحسن أعمالهم، ويتجاوز عن سيئاتهم، سواءً قرأته بالياء أو بالنون، إلا أن إسناد الفعل إلى الله تعالى بنون العظمة فيه مزيد تشريف وتكريم للمؤمنين المتقين، وبيان لعنايته بهم، وأما قراءة المبني للمفعول ففيها بيان ليسر وسرعة تقبل الله تعالى أعمالهم الصالحات وغفرانه لسيئاتهم وفي ذلك ترغيب لهم بعمل الصالحات والإكثار منها [48]. كلتا القراءتين بينتا منزلة هؤلاء المؤمنين المتقين الذين يقدمون لله تعالى أحسن ما عندهم لله تعالى.

ثالثًا: قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٩﴾ [الأحقاف:19]

قرأ ابن كثير، والبصريان، وعاصم (وَلِيُوَفِّيَهُمْ) بالياء. وقرأ الباقون (ولنُوَفِّيَهُم) بالنون[49].

بينت قراءة(ليُوفِّيَهُم) بياء الغيبة أن الله تعالى يخبر عن نفسه أنه سيحاسب كلًا بعمله ليوفيهم جزاء أعمالهم كاملة دون نقص ثواب أو زيادة عقاب، وذلك على نسق قوله تعالى: (وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ) [50] أو على

[44] ينظر: ابن الجزري، محمد بن محمد، **النشر في القراءات العشر** ج2، ص373. الجزري، محمد بن محمد، **تحبير التيسير** ص207.

[45] ينظر: ابن زنجلة، أبي زرعة، **حجة القراءات** ص664. ابن خالوية، الحسين بن أحمد، **إعراب القراءات السبع وعللها** ج2، ص317.

[46] أبي طالب، مكي، **الكشف عن وجوه القراءات السبع** ج2، ص272.

[47] ينظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، **مجمع البيان** ج9، ص 130. ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير** ج26، ص28.

[48] ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير** ج26، ص28.

[49] ينظر: ابن الجزري، محمد بن محمد، **النشر في القراءات العشر** ج2، ص373. ابن مهران، أحمد بن الحسين، **المبسوط في القراءات العشر** ص249.

[50] ينظر: أبي طالب، مكي، **الكشف عن وجوه القراءات السبع** ج2، ص273.

نسق قوله تعالى: (نَتَقَبَّلُ)،(وَنَتَجَاوَزُ) والمعنى : (يتقبل الله، ويتجاوز، وليوفيهم أعمالهم)، وذلك ليأتلف الكلام على نظام واحد[51].

وأما قراءة (لِنَوَفِيَهُم) بالنون فقد بينت أن الله تعالى يخبر عن نفسه بنون العظمة أنه سيحاسب كلا بعمله يوم القيامة ليوفيهم جزاء أعمالهم، على معنى: لنوفيهم نحن أعمالهم، وحجتهم في ذلك أنها جاءت عقيب قوله تعالى: (نَتَقَبَّلُ)، (وَنَتَجَاوَزُ) ليأتلف الكلام على نسق واحد[52]. وفي هذه القراءة التفات من الغيبة إلى التكلم بنون العظمة تعظيماً الله تعالى .

تبين القراءتين الإخبار من الله عز وجل عن نفسه أنه سيحاسب كلا بعمله ويوفيهم جزاء أعمالهم كاملة دون نقصان ثواب أو زيادة عقاب، إلّا أن إسناد الفعل إلى الله تعالى البنون فيه مزيد عناية بالمؤمنين وترغيب لهم بالإكثار من الحسنات وتشويق لهم ليوم الجزاء، وبقدر ذلك فيه مزيد تهديد ووعيد بالعقاب للكافرين المسيئين والانتقام منهم على قدر ما عصوا الله تعالى وأساءوا في حياتهم.

رابعًا: قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأحقاف:20]

قرأ ابن ذكوان، وروح (أَأَذْهَبْتُم) بهمزتين مفتوحتين محققتين من غير مد. وابن كثير، وأبو جعفر، ورويس بهمزتين محققة فمسهلة. وهشام، وأبو جعفر أطول مدًا على أصلهما في قراءة الهمز. وقرأ الباقون (أَذْهَبْتُمْ) بهمزة واحدة على الخبر[53].

بينت قراءة (أَذْهَبْتُمْ) بهمزة واحدة أن الكلام خبر عنهم، أي: يقال لهم ذلك على سبيل التقريع والتوبيخ لهم، والمعنى: ويوم يعرض الذين كفروا على النار يقال لهم: (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ)[54].

وأما قراءة (أَأَذْهَبْتُم) بهمزتين الأولى للاستفهام والثانية ألف القطع بدون مد بينهما، فقد أفاد الاستفهام الإنكار والتقريع والتوبيخ مع التهديد والوعيد، الذي يدل عليه قوله تعالى: (فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ...) "والمعنى والله أعلم: أأذهبتم طيباتكم وتلتمسون الفرج؟ هذا غير كائن"[55].

---

[51] ينظر: ابن زنجلة، أبي زرعة، **حجة القراءات** ص 665. أبي طالب، مكي، **الكشف عن وجوه القراءات السبع** ج1، ص345.

[52] ينظر: الأزهري، محمد بن أحمد، **معاني القراءات** ج2، ص381. ابن زنجلة، أبي زرعة، **حجة القراءات** ص665. أبي طالب، مكي، **الكشف عن وجوه القراءات السبع** ج2، ص273.

[53] ينظر: القاضي، عبد الفتاح، **البدور الزاهرة** ص409. الجزري، محمد بن محمد، **تحبير التيسير** ص207.

[54] ينظر: ابن زنجلة، أبي زرعة، **حجة القراءات** ص665.

[55] ينظر: **المصدر نفسه**.

قال البقاعي: "(أَذْهَبْتُمْ) في قراءة نافع، وأبي عمرو، والكوفيين بالإخبار، وقراءة الباقين بالاستفهام لزيادة الإنكار والتوبيخ"[56].

وأما قراءة (ءاأَذْهَبْتُم) بهمزتين مع المد بينهما، فقد بينت ما أفادته قراءة (أأَذْهَبْتُم) بهمزتين بدون مد، مع الإنكار والتوبيخ، إلا أن فيها المبالغة والشدة في الإنكار على هؤلاء الكفار، وفيها زيادة تقريع وتوبيخ وتشنيع لهم على فعلهم، مع زيادة التهديد والتخويف، مما يدل على شدة معصيتهم لله تعالى وإنكارهم لنعمه ولذلك جاءت قراءة الاستفهام مع المد لتدل على عظم معصيتهم، وكبر جرمهم في حق الله تعالى[57].

ويتبين أن الله تعالى يخبر عما سيحدث مع هؤلاء الكفار المجرمين يوم القيامة حيث سيقف الذين كفروا على النار فيرون سعيرها ثم يلقون فيها، ويقال لهم على سبيل الزجر والتأنيب والتقريع والتوبيخ (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا) أي: ضيعتم وأتلفتم الطيبات التي أنعم الله بها عليكم في حياتكم الدنيا، لأنهم لم يذكروا الله حق ذكره عند شهواتهم بل نالوها مع مخالفة أمره ونهيه سبحانه وتعالى ، ولذلك يقال لهم تهديدًا ووعيدًا (فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ)[58].

المطلب الثاني: الدلالات العقدية

تبدأ الآيات بالنموذج الأول الذي يوضح مسلك الفطرة السليمة: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأحقاف:15] جاءت في هذه السورة بعد الحديث عن التوحيد وإخلاص العبادة لله والاستقامة على طاعته، كما تأتي الوصية مقرونة بتوحيد الله والتحرر من العبودية لسواه في غير ما آية من القرآن، إنها وصية صادرة من خالق الإنسان لجنس الإنسان كله، قائمة على أساس إنسانيته وهي وصية الإحسان إلى الوالدين مطلقة من كل شرط ومن كل قيد، فصفة الوالدية تقتضي هذا الإحسان بذاتها، بدون حاجة إلى أي صفة أخرى[59].

وأعظم نعم الله على العبد الهداية إلى توحيده والتحرر من العبودية لسواه، ومن النعم بعد الهداية النعمة على الوالدين بالتحنن والشفقة حتى ربيا ولدهما صغيرًا، ونعمة الصحة والعافية على الولد ووالديه، ونعمة الغنى والثروة على الولد وعلى والديه حتى تمكنا من الإنفاق عليه وغير ذلك من النعم كثير[60].

فأما النموذج الآخر، فهو نموذج الانحراف عن الفطرة؛ إنه نموذج الفسوق والضلال، هذا الفريق الذي

---

[56] ينظر: البقاعي، برهان الدين، **نظم الدرر** ج7، ص133.

[57] ينظر: البقاعي، برهان الدين، **نظم الدرر** ج7، ص133. طنطاوي، جوهري، **التفسير الوسيط** ج26، ص35.

[58] ينظر: **المصدران نفسهما**.

[59] قطب، سيد، **في ظلال القرآن** ج6، ص 3262.

[60] الرازي، مُحَمَّد بن عمر، **مفاتيح الغيب** ج28، ص16.

انحرف عن الفطرة فكفر بربه وأساء إلى والديه، وقد علم أن والديه كانا مؤمنين؛ وهو نموذج من نماذج المشركين في مكة يوم نزل الوحي، ومن المشركين في عصر، حين ينكر البعث ويكذب بالحق، ويصدر منه أقبح الأفعال، التي منها عقوق الوالدين وإيذاؤهما، وهما أقرب الناس إليه. ثم يقفهم وجهًا لوجه أمام مشهد شاخص لهم في يوم الحساب الذي كانوا يجحدون، ويقال لهم على وجه التوبيخ: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأحقاف:20] [61]، والمعنى استوفيتم ما لكم من الطيبات، وتمتعتم بها في الدنيا باتباعكم الشهوات واللذات في معصية الله. وهو إعذار لهم وتقرير لكونهم لا يظلمون، فرتب عليه قوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الأحقاف:20] ، أي عذاب الخزي والفضيحة، والهون: الهوان[62]. فعلل ذلك العذاب بجرمين عظيمين: الأول؛ فعل القلب، وهو الاستكبار. الاستكبار على الحق وعدم اعتقاده، والاستكبار على الخلق بالتسلط عليهم والتجاوز على حقوقهم. وفعل القلب هذا يتبعه الجرم الثاني، وهو الفسق. والفسق ذنب الجوارح بارتكاب الآثام، ويكون ذلك بالخروج عن طاعة الله، وطاعة غيره في معصيته[63]. وذم ذنب القلب على ذنب الجوارح؛ لأن أعمال الجوارح ناشئة عن مراد القلب[64].

قال ابن كثير: " فجوزوا من جنس عملهم، فكما نعموا أنفسهم واستكبروا عن اتباع الحق، وتعاطوا الفسق والمعاصي، جازاهم الله بعذاب الهون، وهو الإهانة والخزي والآلام الموجعة، والحسرات المتتابعة والمنازل في الدركات المفظعة، أجارنا الله من ذلك كله"[65].

---

[61] وقرئ "أأذهبتم" بهمزتين مخففتين، وقرئ "آذهبتم" بهمزة ممدودة على الاستفهام، وقرأ الجمهور بهمزة واحدة من غير مد على الخبر، وكلها لغات فصيحة، ومعناها التوبيخ، والعرب توبخ بالاستفهام وبغير الاستفهام، انظر: القرطبي، محمّد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن** ج16، ص199-200.

[62] **المصدر نفسه**.

[63] الرازي، محمّد بن عمر، **التفسير الكبير** ج28، ص23.

[64] الألوسي، محمود، **روح المعاني** ج26، ص23.

[65] ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم** ج4، ص160.

المبحث الثالث: أثر القراءات في خسران المكذبين، وهلاكهم في الدنيا عبرة لمن يعتبر

هنا لما كان أكثر إعراض كفار مكة عن قبول الدلائل بسبب اغترارهم بالدنيا، واستغراقهم في استيفاء طيباتها وشهواتها، وبسبب أنه كان يثقل عليهم الانقياد لمحمد ﷺ والاعتراف بتقدمه عليهم ضرب لذلك مثلًا وهم قوم عاد، فإنهم كانوا أكمل في منافع الدنيا من قوم محمد عليه الصلاة والسلام، ثم لما قرر نبوته على الإنس أردفه بإثبات نبوته على الجن[66].

المطلب الأول: القراءات القرآنية

أولًا: قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأحقاف:23]

قرأ أبو عمرو (أُبْلِغُكُم) بسكون الباء، وتخفيف اللام. وقرأ الباقون (وَأُبَلِّغُكُمْ) بفتح الباء وتشديد اللام[67].

بينت قراءة (أُبْلِغُكُم) بالتخفيف: أن مهمة الرسول هي إبلاغ الرسالة التي أمره الله تعالى بها مطلق تبليغ إلى قومه بإيصالها إليهم دون بذل الجهد في التبليغ، وهي تدل على قصر الفعل وسرعته بدون مبالغة في الفعل وإلحاح عليهم بتقبل سبل الهداية.

وأما قراءة (وَأُبَلِّغُكُمْ) بالتشديد: فإنها تفيد أن مهمة الرسول هي تبليغ الرسالة التي أمره الله تعالى بها مع المبالغة في الفعل والتكرار وبذل كامل الجهد في إيصالها إليهم لإقامة الحجة عليهم، "والمعنى: أن الذي شأني وشرطي: أن أبلغكم ما أرسلت به من الإنذار والتخويف والصرف عما يعرضكم لسخط الله بجهدي"[68].

ويتبين من خلال كتب التفسير أن مهمة الرسل هي إبلاغ الرسالة التي أمرهم الله تعالى بها، بما فيها من إنذار ووعيد بعذاب الله تعالى، إن لم يؤمنوا بها وذلك مجرد إيصال وإبلاغ، ولكن لمزيد إقامة الحجة عليهم، يبذل الرسل كامل جهدهم ووقتهم في دعوتهم إلى الله تعالى وإقناعهم بها، وصرفهم عن عذاب الله تعالى أن يحق بهم، فإن لم يؤمنوا، بعد ذلك ينزل بهم عذاب الله تعالى، وتقام عليهم الحجة يوم القيامة.

ثانيًا: قوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأحقاف:25]

قرأ يعقوب، وعاصم، وحمزة، وخلف (يُرَى) بضم الياء وفتح الراء، و(مَسَاكِنُهُمْ) بضم النون. وقرأ الباقون

---

[66] الرازي، محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب** ج28، ص29.

[67] ينظر: الدمياطي، شهاب الدين أحمد بن محمد، **إتحاف فضلاء البشر** ص505. ابن سوار، أبو طاهر، **المستنير في القراءات المتواترة** ج3، ص94.

[68] ينظر: الزمخشري، جار الله محمود، **الكشاف** ج3، ص524.

(تَرَى) بتاءٍ مفتوحةٍ على الخطاب، و(مَسَاكِنَهُم) بفتح النون[69].

بينت قراءة (يُرَى) بالضم على المبني للمفعول ورفع (مَسَاكِنُهُمْ) على أنها نائب فاعل، أن الفعل (يُرَى) عام للجميع لكل من تتأتى منه الرؤية في ذلك الوقت وفي كل وقت والمعنى: لا يرى شيء إلا مساكنهم ما زالت قائمة لأنهم هلكوا جميعًا[70].

وأما قراءة (تَرَى) بالتاء المفتوحة على الخطاب فقد بينت أن المقصود هو النبي ﷺ على معنى: لا ترى يا محمد شيئاً إلا مساكنهم[71]، أو أن المخاطب كل من تتأتى منه الرؤية حينئذ على قول بعض العلماء، قال ابن عاشور: "والخطاب في قوله: (لا تَرَى) لمن تتأتى منه الرؤية حينئذ إتماماً لاستحضار حالة الدمار العجيبة حتى كأن الآية نازلة في وقت حدوث هذه الحادثة"[72].

وقال الألوسي: "وقرأ الجمهور (لا تَرَى) بتاء الخطاب (إلا مساكنَهم) بالنصب، والخطاب لكل أحد تتأتى منه الرؤية تنبيهاً على أن حالهم بحيث لو حضر كل أحد بلادهم، لا يرى إلا مساكنهم، أو لسيد المخاطبين ﷺ"[73].

ويتبين أن الرؤية سواء كان في عهد قوم هود من غيرهم لمن حضر بلادهم، أو في عهد النبي ﷺ، فهي لجميع من تتأتى منه وفي ذلك مزيد إعجاز وعبرة، بأن جعل الله تعالى بيوتهم قائمة حتى يراها كل إنسان ليستحضر حالة الدمار والهلاك الحاصلة بهم فيعتبر منها.

المطلب الثاني: الدلالات العقدية

وقد سيقت قصة هود وقومه مساق الموعظة للمشركين الذين كذبوا بالقرآن، مع ما أعقبت به من الحجج المتقدمة. ذلك كله بالموعظة بحال هود مع قومه. وسيقت أيضًا مساق الحجة على رسالة محمد ﷺ وعلى عناد قومه بذكر مثال لحالهم مع رسولهم بحال عاد مع رسولهم. ولها أيضًا موقع التسلية للرسول ﷺ على ما تلقاه به قومه من العناد والبهتان لتكون موعظة وتسلية معًا، يأخذ كل منها ما يليق به[74].

---

[69] ينظر: ابن الجزري، محمد بن محمد، **النشر في القراءات العشر** ج2، ص373. ابن سوار، أبو ظاهر، **المستنير في القراءات المتواترة** ج3، ص94.

[70] ينظر: حجازي، محمد محمود، **التفسير الواضح** ج26، ص14. ابن سوار، أبو ظاهر، **المستنير في القراءات المتواترة** ج3، ص94.

[71] ينظر: السمر قندي، نصر بن محمد، **بحر العلوم** ج3، ص235.الشوكاني، محمد بن علي، **فتح القدير** ج5، ص32. ابن زنجلة، أبو زرعة، **حجة القراءات** ص666.

[72] ينظر: ابن عاشور محمد الطاهر، **التحرير والتنوير** ج26، ص51.

[73] ينظر: الألوسي، محمود، **روح المعاني** ج26، ص26.

[74] ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير** ج26، ص44.

وقد أنذرهم هود بما أنذر به كل رسول قومه[75]؛ وعبادة الله وحده والتحرر من العبودية لسواه هي دعوة الرسل جميعًا، وهي عقيدة في الضمير، ومنهج في الحياة؛ والمخالفة عنها تنتهي إلى العذاب العظيم في الدنيا والآخرة، أو في الآخرة. فماذا كان جواب قومه؟ قالوا: أجئتنا لتصرفنا وتصدنا عن آلهتنا، واستعجلوا عذاب الله وعقوبته، استبعادًا منهم وقوعه[76].

ثم علل عدم غناء السمع والأبصار والأفئدة عنهم شيئًا بسبب أنهم يجحدون بآيات الله؛ لأن لفظ ﴿إِذْ ﴾ في قوله: ﴿إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ﴾ [الأحقاف:26] بمنزلة التعليل، فقد يأتي هذا اللفظ للتعليل.

وفي هذه الآية أشد التخويف لأهل الكفر في مكة؛ فإن قوم عاد لما اغتروا بدنياهم وأعرضوا عن قبول الدليل والحجة نزل بهم عذاب الله الذي كانوا يستهزئون به، حيث كانوا يطلبون العذاب على سبيل التكذيب والاستهزاء، ولم تغن عنهم قوتهم ولا كثرتهم، فأهل مكة مع عجزهم وضعفهم أولى بأن يحذروا من عذاب الله ويخافوا[77].

ولقد نوع الله سبحانه الآيات يعني الحجج والبراهين والدلالات، وأنواع البينات لأهل تلك القرى لعلهم يرجعون إلى ربهم، ويتوبون عن شركهم فيتحررون من العبودية لغير الله، لكنهم مضوا في ضلالهم فأخذهم العذاب الأليم[78]، ألوانًا وأنواعًا، تتحدث بها الأجيال من بعدهم، ويعرفها الخلف من ورائهم.

وهذا يلفتهم إلى الحقيقة الواقعة والنتيجة الحاسمة. لقد دمر الله على المشركين قبلهم وأهلكهم دون أن تنجيهم آلهتهم. فهلا نصرتهم آلهتهم التي تقربوا بها إلى الله بزعمهم وهلا منعتهم من عذاب الله؛ إنهم لم ينصروهم، ﴿بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْ﴾ [الأحقاف:28] وتركوهم وحدهم أحوج ما كانوا إليه، ﴿وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ [الأحقاف:28] ، أي اتخاذهم غير الله آلهة، وزعمهم أنها تقربهم إلى الله هو كذبهم، وما كانوا يختلقونه[79].

أما أصل الضلال في قوله تعالى: ﴿ضَلُّواْ عَنْهُمْ﴾ [الأحقاف:28] فهو عدم الاهتداء للطريق، واستعير

---

[75] القرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن** ج16، ص203-204. وجملة ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ ﴾ معترضة بين جملة (أَنْذَرَ) وجملة (أن لا تعبدوا إلا الله) المفسرة بها، و(أنْ) تفسيرية؛ لأن (أنذر) فيها معنى القول دون حروفه. ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير** ج26، ص45.

[76] ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم** ج4، ص160.

[77] الرازي، محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب** ج28، ص25-26.

[78] القرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن** ج16، ص209.

[79] ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، **زاد المسير** ج7، ص286. السمر قندي، نصر بن محمد، **بحر العلوم** ج2، ص278.

لعدم النفع بالحضور استعارة تهكمية، والمعنى: غابوا عنهم واتلفوا حتى لم يجدوهم في وقت الحاجة[80].

والإشارة في قوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ إِفۡكُهُمۡ﴾ [الأحقاف:28] هي إلى قولهم في الأصنام إنها آلهة وإنها تقربهم إلى الله زلفى، وفي الكلام متروك حذف استغناءً بدلالة الكلام عليه وهو: " فأبوا إلا الإقامة على كفرهم والتمادي في غيهم فأهلكناهم فلن ينصرهم منا ناصر"[81]، وفي ذلك تأييد من الله لنبيه ﷺ وتهديد ووعيد للمشركين، فلن تغني عنهم آلهتهم كحال أمثالهم ممن سبق أن أهلكوا جزاء شركهم.

[80] ابن عطية، عبد الحق بن غالب، **المحرر الوجيز** ج13، ص366.

[81] الطبري، محمد بن جرير، **تفسير جامع البيان في تفسير القرآن** ج26، ص19.

المبحث الرابع:

أثر القراءات القرآنية في أن الرسول محمد ﷺ مصدق من عند الثقلين، ومعظم في العالمين؛ الإنس والجن

بعد ذكر إهلاك الأقوام المكذبة من الإنس في المبحث السابق ذكر في هذا المبحث إيمان الجن بالله، وتصديقهم لمحمد ﷺ، وإيمانهم بما أنزل عليه من الوحي، وربطه بالحق المنزل سابقًا على موسى عليه السلام، ثم ختم السورة بالدليل على قدرة الله على بعث الموتى، والتهديد بالعذاب الدائم يوم القيامة للمكذبين.

المطلب الأول: القراءات القرآنية

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [الأحقاف:33]

قرأ يعقوب (يَقْدِرُ) بالياء وسكون القاف. وقرأ الباقون (بِقَادِرٍ) بالياء والألف[82].

قراءة (بِقَادِرٍ) بصيغة اسم الفاعل تدل على ثبوت القدرة الله تعالى التي لا تساويها قدرة، مع التأكيد على نفي ادعائهم وإنكارهم لحقيقة البعث والذي يدل عليه حرف الجر الذي سبق الاسم (بِقَادِرٍ)، قال البقاعي: "وأكد الإنكار المتضمن للنفي بزيادة الجار في حيز (أن) فقال تعالى: (بِقَادِرٍ) أي: قدرة عظيمة تامة بليغة"[83].

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ [يس: 81]: "وأثبت الجار تحقيقاً للأمر، وتأكيداً للتقرير فقال: (بِقَادِرٍ) أي: بثابت له قدرة لا يساويها قدرة"[84].

وأما قراءة (يَقْدِرُ) بصيغة الفعل المضارع فإنها تفيد استمرار القدرة الله تعالى على الإحياء بعد الإماتة في المستقبل وعلى الدوام، حيث إن الفعل المضارع يفيد الاستمرار، والتكرار، والتجدد، قال البقاعي: "ومعنى قراءة رويس عن يعقوب (يَقْدِرُ) بتحتانية مفتوحةٍ، وإسكان القاف من غير ألف، ورفع الراء، أنه يجدد تعليق القدرة على سبيل الاستمرار"[85]، وفي ذلك نفي العجز عن الله تعالى من كل وجه، كما أن هذه القراءة فيها مزيد بيان لقدرة الله تعالى، وزيادة استدلال على البعث.

ويتبين أن الآية فيها تأكيد على كمال قدرة الله تعالى الواسعة في كل وقت في الماضي والحال والمستقبل

---

[82] ينظر: الدمياطي، شهاب الدين أحمد بن محمد، **إتحاف فضلاء البشر** ص505. ابن مهران، أبو بكر بن الحسين، **المبسوط في القراءات العشر** ص249.

[83] ينظر: البقاعي، برهان الدين، **نظم الدرر** ج7، ص144.

[84] ينظر: **المصدر نفسه** ج6، ص287.

[85] **المصدر نفسه**.

على الإحياء وغير ذلك مما تقتضيه حكمة الله تعالى، مع التأكيد على نفي إنكار الكفار لحقيقة البعث، وفي ذلك زيادة توبيخ وتقريع للمشركين على جهلهم وانطماس بصائرهم حيث لم يعرفوا أن الله تعالى الذي له هذه القدرة المطلقة الواسعة لقادر على أن يعيدهم إلى الحياة بعد موتهم[86].

المطلب الثاني: الدلالات العقدية

اذكر يا مُحَّد لقومك قصة استماع الجن القرآن وإيمانهم به، لعلهم يتنبهون من قبح ما هم عليه من الكفر بالقرآن والإعراض عنه، حيث إنهم كفروا به، وجهلوا أو تجاهلوا أنه من عند الله تعالى، وهم أهل اللسان الذي نزل به، من جنس الرسول الذي جاء به؛ وأولئك استمعوه وعلموا أنه من عنده تعالى وآمنوا به، وهم ليسوا من أهل لسانه، ولا من جنس رسوله. ففي ذكر هذه القصة توبيخ لكفار قريش والعرب[87].

ولا يبعد أن يكون الجن قد صرفوا إلى النبي ﷺ، فجاءوه وفودًا أكثر من مرة، فأقرأهم القرآن، كما تدل على ذلك روايات[88]. فقد استمعوا قراءته ﷺ، ثم رجعوا إلى قومهم منذرين، ثم بعد ذلك وفدوا إليه أرسالًا وقومًا بعد قوم، وفوجًا بعد فوج، كما وردت بذلك الأخبار[89].

وقد تضمن إنذار الجن أسس الاعتقاد الكامل: تصديق الوحي، ووحدة العقيدة بين التوراة والقرآن. والاعتراف بالحق الذي يهدي إليه القرآن، والإيمان بالآخرة؛ وما ينتهي إلى المغفرة وما ينتهي إلى العذاب من العمال. والإقرار بقوة الله وقدرته[90]. فقدرة الله شاملة ومحيطة بالكافرين، وعذابه نازل بهم، بل لا يجيرهم منه سبحانه أحد، هؤلاء الذين تلبسهم الضلال عن الحق[91]. وإلى هاهنا قد تم الكلام في التوحيد وفي النبوة، ثم ذكر عقيبهما تقرير البعث والمعاد[92].

وبعد أن أقام الله الدلالة على صحة القول بالحشر والنشر يرسم مشهد الجزاء كأنه شاخص للأبصار، فيذكر بعض أحوال الكفار، واذكر يوم يعرض كفار قريش وغيرهم ممن هو على شاكلتهم على النار، ويقال لهم: ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأحقاف:34] ، وهذا تهكم بهم وتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده، ولا يسعهم إلا الاعتراف حين لا يفيد الاعتراف، حيث يجيبون: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ [الأحقاف:34] ، فيقال لهم بأسلوب فيه الإهانة:

[86] ينظر: طنطاوي، جوهري، **التفسير الوسيط** ج26، ص50.
[87] الألوسي، محمود، **روح المعاني** ج26، ص30.
[88] ينظر: ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، **زاد المسير** ج7، ص387-389.
[89] ابن كثير، اسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم** ج4، ص163، وانظر ما حرره الثعالبي في تفسيره ج4، ص157.
[90] قطب، سيد، **في ظلال القرآن** ج6، ص 3270.
[91] ابن كثير، اسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم** ج4، ص 171. انظر: ابن عاشور، مُحَّد الطاهر، **التحرير والتنوير** ج26، ص62.
[92] الرازي، مُحَّد بن عمر، **مفاتيح الغيب** ج28، ص30.

﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾ [الأحقاف:34] أي بسبب كفرهم[93].

وأعقب سبحانه أمره نبيه بالصبر نهيه عن الاستعجال لهم بالعذاب أو الهلاك. وذلك تثبيت له ﷺ، وتهديد للمشركين؛ فطريق الدعوة شاق يحتاج إلى الوعظ والتثبيت والأمر بالصبر، والاقتداء بأولي العزم والثبات من الأنبياء السابقين. والتهديد للمشركين كامن في نهيه ﷺ عن استعجال العذاب له؛ لأنه آتيهم لا محالة، فالعذاب منهم قريب، وهذه الدنيا إلى زوال، وهي متاع قليل بالنسبة للآخرة: ﴿لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارِۭ﴾ [الأحقاف:35] في جنب يوم القيامة[94].

ثم يقول سبحانه: ﴿بَلَٰغٌۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف:35] أي هذا القرآن بلاغ، والبلاغ بمعنى التبليغ، ولا يهلك إلا القوم الخارجون عن أمر الله وحكمه[95].

وكما أن هذه الألفاظ وعيد محض، وإنذار بين للمشركين الكافرين، فهي رجاء للمؤمنين. حيث يقال: إن قوله تعالى: ﴿فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف:35] أرجى آية في كتاب الله للمؤمنين؛ وذلك أن الله عز وجل جعل الحسنة بعشر أمثالها، والسيئة بمثلها، وغفر الغفور الرحيم الصغائر باجتناب الكبائر، ووعد الغفران على التوبة، فلن يهلك على الله إلا هالك[96].

---

[93] القرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن** ج16، ص219. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم** ج4، ص171. الرازي، محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب** ج28، ص30.

[94] ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم** ج4، ص 172. القرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن** ج16، ص 222.

[95] **المصدران نفسهما.**

[96] الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد، **الحسان في تفسير القرآن** ج4، ص159. وانظر آخر الحديث" ولا يهلك على الله إلا هالك" في صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلى ﷺ من الإيمان وعلاماته، وبغضهم من علامات النفاق، برقم (131).

الخاتمة

في نهاية هذا البحث وصلت إلى الخاتمة التي أدون فيها أهم ما توصلت إليه في البحث من نتائج، وهي على النحو الآتي:

1. أن أثر القراءات القرآنية في سورة الأحقاف ظهر واضحًا في القضايا العقدية، وقد تكون في إثبات أصول العقيدة الإسلامية الثلاثة: وهي التوحيد، والرسالة والوحي، والبعث والجزاء.

2. بدأ سورة الأحقاف في بيان دعوة الحق ودعوة الباطل وأن الحق أصل أصيل في خلق هذا الكون، فالدعوة لا تصح من غير دليل عقلي أو سمعي.

3. شهد المؤمنون العلماء من أهل الكتاب على صدق النبي ﷺ وصحة رسالته والشاهد كما ذكره جمهور المفسرين هو عبد الله بن سلام ﷺ.

4. لا يوجد تناقض بين القراءات المتواترة على التفسير من حيث المعاني، وإنما هو الارتباط بين القراءات المتواترة من باب التنوع والتعاضد، لا من باب التدافع والتضاد.

5. إن الحكمة من تعدد القراءات التفكر والتمعن لما فيه من معان، وخاصة في الدلالات العقدية.

6. صرحت الآيات على دلالة عقدية وهي المماثلة بين التوراة والقرآن.

7. تحدثت السورة عن الجن الذين استجابوا لدعوة الرسول ﷺ وتأثروا بسماع القرآن الكريم.

8. ما عوّل عليه ابن جرير الطبري، أنه لا يجوز غيره وهو نفي علمه فيما يستقبل من الزمان، أي الدنيا. ولا شك أن هذا هو اللائق به ﷺ، فإنه بالنسبة للآخرة جازم أنه يصير إلى الجنة، هو ومن اتبعه.

9. رد الطبري قراءة (فَصْلُه) بدون ألف، واعتبرها شاذة، والصحيح أنه لا يحق للإمام الطبري أن يطعن في قراءة متواترة أو يردها، لأن القراءات المتواترة جميعها وحي من الله تعالى، ولا تفاضل بينها، حيث إن القراءتين بينت معنى.

10. لا ينبغي لأبي حاتم أن يرد قراءة أو يفاضل بينهما لأن القراءتين متواترتان، ولكل قراءة أثرها في المعنى.

11. إن الاختلاف في القراءات منه ما له اختلاف اللفظ والمعنى جميعًا مع جواز أن يجتمعا في شيء واحد لعدم تضاد اجتماعهما فيه، واختلاف اللفظ والمعنى، مع امتناع جواز أن يجتمعا في شيء واحد لاستحالة اجتماعهما فيه، بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد.

12. من فوائد تعدد القراءات ذات المعاني المختلفة تبيين معنى الآية، أو توسيع المعنى، أو إزالة الإشكال إن وُجد.

13. تفصيل أثر اختلاف القراءات المتواترة في الدلالات العقدية، واستعراضها أثمر في بيان ما في القراءات المتواترة فيها من فوائد جلية.

14. أن تعدد المتواتر لا يلجئ إلى اختيار أحد المتواترين دون الآخرى، بل يتكامل بعضه ببعض، ويسهم متضامنًا في إضاءة النصوص وكشف دلالاتها.

التوصيات:

اوصي المتخصصين بدراسة موقف الأئمة من القراءات القرآنية عموماً، والكشف التغاير بين المواضع التي وقف منها ذاك الموقف.

تجدر الإشارة إلى قلة البحوث في مجال علم القراءات ومدى ارتباطها بالقضايا العقدية، وهذه دعوة للباحثين للكتابة في هذا المجال من أجل تطوير القراءات التفسيرية.

REFERENCES (المصادر والمراجع)

[1] al-Biqāʻī, Burhān al-Dīn (t : 885h), *Maṣāʻid al-naẓar lil-ishrāf ʻalá Maqāṣid al-suwar*, taḥqīq : ʻbdālsmyʻ Muḥammad Ḥasanayn, Maktabat al-Maʻārif, al-Riyāḍ, 1987m.

[2] al-Biqāʻī, Burhān al-Dīn (t : 885h), *naẓm al-Durar fī tanāsub al-āyāt wa-al-suwar*. tanẓīm : ʻAbd-al-Razzāq Ghālib al-Mahdī, Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, Bayrūt, 1995m.

[3] al-Thaʻālibī, ʻAbd al-Raḥmān ibn Muḥammad (t : 875h), *tafsīr al-Thaʻālibī al-musammá (al-ḥisān fī tafsīr al-Qur'ān)*, Mu'assasat al-Aʻlamī lil-Maṭbūʻāt, Bayrūt.

[4] al-Jawzī, ʻAbd al-Raḥmān ibn ʻAlī (t : 592h), *Zād al-Musayyar fī ʻilm al-tafsīr*, Ṭ1, taḥqīq : Zuhayr al-Shāwīsh, Dār ibn Ḥazm, Bayrūt, 2002M.

[5] al-Jazarī, Muḥammad ibn Muḥammad (t : 832h), *Taḥbīr al-Taysīr fī qirā'āt al-a'immah al-ʻasharah*, Dār al-ṣaḥābah lil-Turāth, 2004m.

[6] al-Jazarī, Muḥammad ibn Muḥammad (t : 833h), *al-Nashr fī al-qirā'āt al-ʻashr*, Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, Bayrūt.

[7] Ḥijāzī, Muḥammad Maḥmūd, *al-tafsīr al-Wāḍiḥ*, ṭ10, Dār al-tafsīr lil-Ṭabʻ wa-al-Nashr, al-Zaqāzīq, 1986m.

[8] Ḥabash, Muḥammad, *al-shāmil fī al-qirā'āt al-mutawātirah*, Ṭ1, Dār al-Kalim al-Ṭayyib, Bayrūt, 2001M.

[9] Ibn Khālawayh, al-Ḥusayn ibn Aḥmad (t : 370h), *iʻrāb al-qirā'āt al-sabʻ wa-ʻilalihā*, Ṭ1, taḥqīq : ʻAbd al-Raḥmān al-ʻUthaymīn, mktbtālkhānjy, al-Qāhirah, 1992m.

[10] al-Dimyāṭī, Shihāb al-Dīn Aḥmad ibn Muḥammad, *Itḥāf Fuḍalā' al-bashar fī al-qirā'āt al-arbaʻah ʻashar, waḍʻ ḥawāshīhi* : al-Shaykh Anas Muhrah, Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 2001M.

[11] al-Rāzī, Muḥammad ibn ʻUmar (604h), *Mafātīḥ al-ghayb, Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah*, Bayrūt, 2000M.

[12] al-Azharī, li-Abī Manṣūr Muḥammad ibn Aḥmad (t : 370h), *maʻānī al-qirā'āt, taḥqīq* : Muṣṭafá Darwīsh, ʻAwaḍ ibn Ḥamad al-Qawzī.

[13] Ibn znjlh, Abī Zurʻah ʻAbd al-Raḥmān ibn Muḥammad (t : 403h), *ḥujjat al-qirā'āt*, ṭ5, taḥqīq : Saʻīd al-Afghānī, Mu'assasat al-Risālah, Bayrūt, 1997m.

[14] al-Zamakhsharī, Jār Allāh, Maḥmūd ibn ʻUmar, (t : 538h) *al-Kashshāf ʻan ḥaqā'iq al-tanzīl wa-ʻuyūn al-aqāwīl fī Wujūh al-ta'wīl*. Bayrūt : Dār al-Kitāb al-ʻArabī, Bayrūt, 1947m.

[15] al-Zuḥaylī, Wahbah, *al-tafsīr al-munīr fī al-ʻaqīdah wa-al-sharīʻah wa-al-manhaj*, Dār al-Fikr al-muʻāṣir, Bayrūt, 1991m.

[16] al-Samarqandī, Naṣr ibn Muḥammad (t : 375h), *Baḥr al-ʻUlūm*. taḥqīq : ʻAlī Muḥammad Muʻawwaḍ wa-ākharūn, Bayrūt : Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, Bayrūt, 1993M.

[17] Ibn Sawwār, lil-Imām Abī Ẓāhir (t : 496h), *al-Mustanīr fī al-qirā'āt al-'ashr, 'allaqa 'alayhi* : Jamāl al-Dīn Muḥammad Sharaf, Dār al-ṣaḥābah lil-Turāth, Ṭanṭā.

[18] al-Shinqīṭī, Muḥammad al-Amīn, *Aḍwā' al-Bayān fī Īḍāḥ al-Qur'ān bi-al-Qur'ān*, Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, Bayrūt, 1996m.

[19] al-Shawkānī, Muḥammad ibn 'Alī (t : 1255h), *Fatḥ al-qadīr al-Jāmi' bayna Fannī al-riwāyah wa-al-dirāyah min 'ilm al-tafsīr*, ṭ3, taḥqīq : Sayyid Ibrāhīm, Dār al-ḥadīth al-Qāhir, 1997m.

[20] al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr, (t : 310h), *Jāmi' al-Bayān fī tafsīr al-Qur'ān Dār al-Ma'rifah*, Bayrūt 1972m.

[21] Abī Ṭālib, Makkī (t : 437h), *al-kashf 'an Wujūh al-qirā'āt al-sab'*, ṭ5, taḥqīq : Muḥyī al-Dīn Ramaḍān, Mu'assasat al-Risālah, Bayrūt, 1997m.

[22] Ṭanṭāwī, Muḥammad al-Sayyid, *al-tafsīr al-Wasīṭ*, Maṭba'at al-Sa'ādah, 1985m.

[23] al-Ṭabarsī, al-Faḍl ibn al-Ḥasan, Majma' *al-Bayān fī tafsīr al-Qur'ān*, Dār Maktabat al-ḥayāh, Bayrūt.

[24] Ibn 'Aṭīyah, 'bdālḥq ibn Ghālib, (t : 542h), *al-muḥarrir al-Wajīz taḥqīq* : 'Abdussalām 'bdālshāfy Muḥammad, Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, Bayrūt, 1993M.

[25] Ibn 'Āshūr, Muḥammad al-Ṭāhir, *al-Taḥrīr wa-al-tanwīr*, al-Dār al-Tūnisīyah lil-Nashr, Tūnis.

[26] 'Abd al-Ḥamīd, Muḥammad Muḥyī al-Dīn, *sharḥ Ibn 'Aqīl 'alá Alfīyat Ibn Mālik*, Dār al-Turāth, al-Qāhirah, 1998M.

[27] al-Farrā', Abī Bakr Zakarīyā, *ma'ānī al-Qur'ān* (t : 207h), ṭ3, 'Ālam al-Kutub, Bayrūt, 1983m.

[28] al-Qurṭubī, Muḥammad ibn Aḥmad, (t : 671h), *al-Jāmi' li-aḥkām al-Qur'ān*. Mu'assasat al-Risālah, Bayrūt, 2006m.

[29] Quṭb, Sayyid, *fī ẓilāl al-Qur'ān*, Dār al-Shurūq, al-Qāhirah, 1412m.

[30] al-Qāḍī, 'Abd al-Fattāḥ 'Abd al-Ghanī, *al-Budūr al-Zāhirah fī al-qirā'āt al-'ashr al-mutawātirah,* Ṭ1, Dār al-Salām lil-Ṭibā'ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī', 2004m.

[31] Ibn Kathīr, Ismā'īl ibn 'Umar, (t : 1373h), *tafsīr al-Qur'ān al-'Aẓīm*. taḥqīq : Sāmī ibn Muḥammad Salāmah, Dār Ṭaybah, 1999M.

[32] al-Alūsī, Maḥmūd, *Rūḥ al-ma'ānī*, Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī, Bayrūt.

[33] Muslim, Abī al-Ḥusayn Muslim ibn al-Ḥajjāj al-Qushayrī al-Nīsābūrī, (t : 261h) *Ṣaḥīḥ Muslim*, taḥqīq : Muḥammad Fu'ād 'Abd al-Bāqī, Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, Bayrūt, 1992m.

[34] Ibn Mahrān, li-Abī Bakr ibn al-Ḥusayn (t : 381h), *al-Mabsūṭ fī al-qirā'āt al-'ashr*, Dār al-ṣaḥābah lil-Turāth, Ṭanṭā, 2003m.

[35] Muḥaysin, Muḥammad Sālim, *al-qirā'āt wa-atharuhā fī 'ulūm al-'Arabīyah*, Ṭ1, Dār al-Jīl, Bayrūt, 1998M.

[36] Ya'qūb, Imīl Badī', *Mawsū'at al-ḥurūf fī al-lughah al-'Arabīyah*, Ṭ1, Dār al-Jīl, Bayrūt, 1988m.